الفصل الثانى

الوثائق تكشف المخطط

- ☐ الآن.. على العالم العربى أن يدير ظهره لتيار القومية. وتنغلق كل دولة على ذاتها وتتفاوض من مركز الضعف
- ☐ نص المذكرة السرية من والت روستو إلى الرئيس جونسون
- ☐ شروط انسحاب إسرائيل:

إسقاط عبد الناصر.. وقف التيار القومى.. انعزال كل دولة عربية.. وقف التسلح.. الدخول مع إسرائيل فى مشروعات للتعاون الإقليمى

استغرقت الضربة الجوية الرئيسية الاسرائيلية ضد مصر أربع ساعات، وبعدها فقط استدارت إسرائيل إلى الطيران فى كل من سوريا والأردن، فأخرجتهما من المعركة خلال ٢٥ دقيقة.

وفيما بعد حدد موردخاى هود قائد السلاح الجوى الإسرائيلى أسباب نجاح الضربة الجوية من وجهة نظره بأنها أربعة: أولها: «إن ما جرى فى الثمانين دقيقة الأولى كان خلاصة ١٦ سنة من التخطيط لكى نضرب الطيران المصرى ونخرجه من المعركة مبكرا، فقد كنا نعيش مع الخطة، وننام مع الخطة، ونأكل مع الخطة، وكنا باستمرار نراجعها أولا بأول لكى نتأكد منها».

أما السبب الثانى فهو معلومات «المخابرات الجيدة عن تحركات ونشاطات العدو الجوية من حيث توزيع طائراته ومواقع راداراته وصواريخه».

والسبب الثالث هو القدرة على امتصاص المعلومات الجديدة ودمجها فى الخطة القائمة وإخطار الطيارين بها أولا بأول.

والسبب الرابع هو السنوات المتواصلة من تدريب الطيارين على تنفيذ نفس الخطة.

وعلى الرغم من الضربة الجوية لم تكن مفاجأة للقيادات العسكرية المصرية حينئذ، إلا أن مداها وحجمها جاء لهم بمثابة المفاجأة، وطوال اليوم الأول فى الحرب حاول الفريق أول صدقى محمود قائد الطيران والمشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى إقناع جمال عبد الناصر بوجود مشاركة أمريكية لابد منها وتقود إليها كل المؤشرات، ولكن جمال عبد الناصر فى البداية رفض أن يصدق ذلك إلا على ضوء وجود دليل دامغ يسمح له بتوجيه اتهام رسمى إلى الولايات المتحدة بالتدخل المباشر، وسرعان ما جاءت معلومات فى هذا الاتجاه من محطة الرادار الأردنية فوق جبل عجلون.

ومن العاصمة الأردنية عمان أجرى الملك حسين مكالمة تليفونية مع الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة، كانت فى السادسة من صباح الثلاثاء ٦ يونيو. وفى المكالمة تم التشاور حول هذا الموضوع الخطير والمتفجر، إن كلا من عبد الناصر وحسين لم يكن يعرف لحظتها أن هذه المكالمة يتم رصدها وتسجيلها اليكترونيا من مسافات بعيدة بأجهزة متطورة للغاية. وخلال ساعات سيصبح تسجيل المكالمة تحت تصرف إسرائيل، والتى قررت على الفور إذاعتها بعد عمل «مونتاج» للمقاطع التى تخدم أغراضها.

عبد الناصر وحسين على الهاتف

وطبقا لما أذاعته إسرائيل فان هذه المكالمة التليفونية مضت على النحو التالى:

عبد الناصر: كيف حالك؟ لقد فهمت أن جلالتك تريد أن تعرف ما إذا كنا نحارب على كل الجبهات.. «مقطع مشوش»... هل نعلن عن اشتراك الولايات المتحدة مع إسرائيل؟.. لا أستطيع سماعك.. الاتصال سيئ جدا.. «صمت».. هالو.. ها تتكلم عن الولايات المتحدة وبريطانيا؟، أو عن الولايات المتحدة فقط؟

حسين: الولايات المتحدة فقط.

عبد الناصر: هل توجد لبريطانيا حاملة طائرات؟

حسين:... «إجابة مشوشة»

عبد الناصر: حسنا، الملك حسين سيذيع بيانا عن هذا وأذيع أنا أيضا بيانا.

حسين: شكرا.

عبد الناصر: حاولوا الصمود.

حسين: حسنا.

عبد الناصر: هالو.. هالو.. يا آخى، اصمدوا ولا تقلقوا.

حسين: نعم فخامة الرئيس، لو كان لديكم شيء، فكرة، ففى أى وقت...

عبد الناصر: إننا نقاتل بكل ما نملك، والقتال مستمر فى جميع الجبهات طوال الليل، وإذا كنا نواجه بعض الصعاب فى البداية فسوف نتغلب عليها، إن الله معنا.. «مقطع مشوش».. إذن، هل ستذيع جلالتك بيانا بالتدخل الأمريكى الإنجليزى؟

حسين: «إجابة غير مسموعة»

عبد الناصر: أقول والله شاهدى، إننى سأذيع بيانا، وأنت ستذيع بيانا، وسوف نعمل على أن يذيع السوريون بيانا كذلك يعلنون فيه أن طائرات أمريكية وبريطانية انطلقت من حاملات الطائرات وتشترك فى الحرب ضدنا، سوف ننشر بيانا ونركز فيه على هذا الموضوع..

حسين: حسنا.

عبد الناصر: ها توافق جلالتك؟

حسين: «إجابة مشوشة».

عبد الناصر: ألف شكر، عليكم بالصمود، إننا معكم بكل قلوبنا، إننا أرسلنا طائراتنا لتضرب إسرائيل، وهى تهاجم الطائرات الإسرائيلية منذ الصباح.

حسين: ألف شكر.

ولقد استخدمت إسرائيل تلك المكالمة، واضحة المونتاج، لكى تروج فى العالم كله لفكرة أن التدخل الأمريكى البريطانى هو مجرد اختلاق وتلفيق من عبد الناصر وحسين معا، مع الإيحاء بأن عبد الناصر كان محرضا على هذا التلفيق.

الملك حسين يوضح

ولكن الملك حسين فسر الأمر فيما بعد بقوله: «منذ الصباح المبكر ليوم الاثنين ٥ يونيو أفاد مركز قواتنا الجوية بأن راداراتنا رصدت بعض الطائرات فى منطقتين فوق البحر الأبيض المتوسط، على مسافة أربعين كيلو متر شمال «بحيرة البردويل» المصرية «وشمال شرق بورسعيد»، وطبقا لهذا التقرير فإن تلك الطائرات المجهولة اختفت من الشاشة عند خط يتعادل مع مطار اللد فى إسرائيل.

«وأكثر من ذلك» فإن الرادار رصد بعض الأهداف الثابتة فى البحر الأبيض المتوسط، وطبقا لنفس هذا التقرير، اظهر الرادار أن الطائرات تطير عند مستوى البحر فى منطقة هذه الأهداف الثابتة: نحو إسرائيل، والنتيجة التى يتم استخلاصها هى أن هذه الطائرات تنطلق من حاملات طائرات. ونحن نعرف على وجه التأكيد أن إسرائيل ليس لديها سفن من هذا النوع.

بالطبع الرادار لا يستطيع أن يبين جنسية الطائرات، ولقد تزايد تشويشنا من حقيقة أن المعلومات المصرية عن عدد الطائرات الاسرائيلية التى تم تدميرها جعل من الصعب تصديق أنه ما يزال لدى العدو كل هذا العدد من الطائرات القادرة على الطيران، ومن ثم، فبعمل تقييم صحيح للقوات الجوية الإسرائيلية على أساس معلومات حلفائنا، فإن حجم هذا الأسطول الجوى بدا مفرطا، إلا إذا كانت هناك دولة أجنبية متورطة.

«وحينئذ ساهم شىء آخر فى تشويشنا، وهو تشويش طيارينا، فهؤلاء الرجال قالوا: إنهم شاهدوا مقاتلات اسرائيلية لها نفس الصورة الظلية مثل طائراتنا، وكان التفسير الوحيد الممكن هو: أن تلك هى طائرات هوكز هنتر، وهو نوع من الطائرات لا يوجد لدى إسرائيل ويمكن فقط أن يأتى من قاعدة قرب الشرق الأوسط، وفيما بعد علمنا أنها لم تكن هوكز هنتر، ولكنها طائرات ميستير إسرائيلية صورتها الظلية قريبة الشبه جدا».

ويضيف الملك حسين: «إننا فيما بعد أجرينا تحقيقا بشأن التقارير القريبة من رادارتنا، وهو تحقيق قادنا إلى نتيجة افتراضية هى أنه فى ظروف جوية معينه فى البحر، يمكن لشاشات الرادار أن تعكس بسهولة أهدافا من الصعب التعرف إليها، مثل السفن، تكون فى الحقيقة فى مدى يتجاوز الرادار على الرغم من أنها تبدو أهدافا قريبة داخل نطاقه، وخلال الحرب قابلت سفراء قوى أجنبية مختلفة مرات عديدة فى مقر دفاعنا المدنى فى عمان، ولقد بعثت ببرقية إلى عبد الناصر أخطره فيها بأن سفير الولايات المتحدة قد أكد لى أنه لا يوجد تورط أمريكى من أى نوع فى هذه المعركة، ولكن، يجب أن أقر بأنى فى حينها.. لم أكن مقتنعا».

ويقول الملك حسين أيضا: «لقد زعم الاسرائيليون «فيما بعد» بأننى اعترفت بأن قصة التدخل الأنجلو أمريكى كانت اختلاقا وتلفيقا كاملين، هذا غير صحيح، لقد اعتقدت حقا بوجود تدخل من إنجلترا وأمريكا، وكنت أؤمن بذلك حينما قلته علنا».

واشنطن تنفى تورطها

فمن الناحية الرسمية تقبل الأردن الإنكار الأمريكى، وأعلن الأردن فى ٩ يونيو أنه حسب معلوماته فإنه لم يحدث تدخل عسكرى من الولايات المتحدة أو بريطانيا فى الحرب العربية الاسرائيلية.

والواقع أن القاهرة تلقت نفس الإنكار الأمريكى، بل إن وزارة الخارجية الأمريكية أيقظت السفير المصرى فى واشنطن فجرا لكى تبلغه باحتجاجها، ووقف دين راسك وزير الخارجية الامريكى علنا أمام الصحفيين لينكر أى مشاركة أمريكية من أى نوع فى مجرى الحرب.

مع هذا لم يكن هذا كافيا بالنسبة لمصر، صحيح أن مصر لم تمسك بيديها طائرة تحمل الشعار الأمريكى وهى تضرب أهدافا مصرية، ولكن هذا لا يعنى حيادا أمريكيا فى مجرى الحرب، فإذا كانت الولايات المتحدة محايدة حقا، فلماذا تعلن أنها لا تعرف من الذى بادر بالطلقة الأولى، وهل كان الأسطول الامريكى السادس المعبأ فى البحر الأبيض المتوسط منذ أسابيع يدير عينيه فى اتجاه آخر بينما الضربة الإسرائيلية توجه ضد مصر؟ ولماذا لم تف الولايات المتحدة بتعهداتها الرسمية من أنها ستقف ضد الطرف الذى يبادر بالعدوان؟ ولماذا ترفض الولايات المتحدة وصف الهجوم الإسرائيلى أساسا بأنه عدوان؟

ولماذا أصرت فى مشـاورات مجلس الأمن الدولى طوال اليوم الأول من الحرب على حذف أى إشارة إلى ضرورة انسحاب إسرائيل كجزء من قرار لوقف إطلاق النار كما يقضى ميثاق الأمم المتحدة؟.

قطع العلاقات الدبلوماسية

هكذا أعلنت القاهرة قطع العلاقات الدبلوماسية مع انولايات المتحدة وسرعان ما ستتلوها معظم الدول العربية. وسـوف تمر أيام قليلة قبل أن ينكشـف أمر وجود سـفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» قرب الحدود المصرية الإسـرائيلية فى البحر الأبيض المتوسـط، بعد أن ضربتها إسـرائيل بحجة أنها تصورت أنها سـفينة مصرية، لقد تأكد فيما بعد أن هذا غير صحيـح بالمـرة، ومع ذلك فمنذ منع الرئيس جونسـون وزارة الدفـاع الأمريكية من انتقاد إسـرائيل علنا، وتقرر الاحتفاظ بنتيجة التحقيق الجارى سـرا، وصدرت تعليمات للبحارة وضباط السـفينة بالتزام الصمت الكامل بالنسـبة لحقيقة مهمتهـم الغامضة تلك فى البحر الأبيض، وكان أحد التفسـيرات غير الرسمية هو: «أن إسـرائيل أرادت بضرب «ليبرتى» إخفـاء الأدلة الحاسمـة على حجم التدخل الإليكترونى الأمريكى لحسـابها فى مجريات الحرب ضد مصر».

فوضى فى سيناء

ولكنَّ سـرا كبيرا آخر لم ينكشـف إلا بعدها بسبع عشرة سنة، وهو المتعلق بالدور الذى لعبته طائرات التجسـس الأمريكية من القاعدة السـرية فى صحراء النقب، وحجم إمدادها لإسـرائيل بالمعلومات والصور الدقيقة أولا بأول، ليلا ونهارا، عن كل المواقع والاتصالات العسـكرية المصرية والسـورية طوال الحرب، والدور الحاسم الذى لعبه هذا كله، خصوصا فى إنجاح الضربة الجوية ضد سلاح الطيران المصرى.

ومـع كل هـذا.. لم يكن ضرب الطيران المصرى يمثل تدميرا نهائيا للقدرة العسـكرية المصرية إلا بعد أن صدر القرار المتعجل والمتخبط بالانسـحاب الشـامل من سـيناء، لقد صدر هذا القرار فى اليوم التالى للحرب، ثم تعدل، ثم صدر من جديد، بما حول الجيش المصرى فى سـيناء إلى زحام من الفوضى، وعجل تماما من الانهيار الشـامل فى سيناء، وفى تلك الفوضى أصبح وصول القوات الإسـرائيلية إلى الشـاطئ الشـرقى لقناة السويس

مجرد مسألة وقت، بينما أصبح الاستيلاء على الضفة الغربية لنهر الأردن محسوما منذ يوم ٦ يونيو.

مذكرات روستو لجونسون

أما بالنسبة للرئيس الأمريكى جونسون فقد تلقى من والت روستو مستشاره للأمن القومى فى الساعة التاسعة وخمس دقائق- بتوقيت واشنطن- من مساء الاثنين ٥ يونيو، تقريرا شديد السرية من حصيلة القتال فى اليوم الأول من الحرب، مع مذكرة منه يقول فيها بالنص: (السيد الرئيس، مرفق مع هذا تقرير، خريطة، عن اليوم الأول من عملية «قتل الديك الرومى»).

توقيع و. و. روستو

وفى مساء اليوم التالى من الحرب «٦ يونيو» بعث والت روستو إلى الرئيس جونسون بمذكرة أخرى مرفق بها تقرير من الوفد الأمريكى لدى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك، وقال روستو فى مذكرته: «سيدى الرئيس: لو تقدم الإسرائيليون بالسرعة الكافية، فإن أفضل رد من جانبنا سيكون هو وقف بسيط لإطلاق النار، أن هذا يعنى أننا استطعنا استخدام موقف الأمر الواقع (الجديد) على الأرض لمحاولة التفاوض ليس من أجل العودة إلى خطوط الهدنة. ولكن من أجل (الوصول إلى) سلام محدود وحاسم فى الشرق الأوسط».

بالفعل، طوال يومى ٥ و٦ يونيو ظل الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة برئاسة آرثر جولد بيرغ، يقاوم كل محاولة لاستصدار قرار من مجلس الأمن يتضمن اعتبار إسرائيل معتدية، أو يطالبها بالانسحاب إلى المواقع السابقة على بدء الحرب، وأصبحت «مطالبة العرب بقبول وقف إطلاق النار بغير هذين العنصرين يتعادل مع مطالبتهم بالموافقة رسميا على (شرعية) الهجوم الإسرائيلى، وكذلك على الأمر الواقع الجديد بشأن الأراضى التى أصبحت محتلة».

وقد شعر العرب بمزيد من الصدمة حينما استسلم الوفد السوفياتى فى الأمم المتحدة فى النهاية للضغط الأمريكى فى ٦ يونيو، ووافق على المشروع الأمريكى بالوقف البسيط لإطلاق النار، وهى أول مرة فى تاريخ الأمم المتحدة يصدر فيها مثل هذا القرار، الذى لا يطالب المعتدى بسحب قواته إلى مواقع ما قبل الحرب، وأنه لم يعد هناك بديل، اضطر الأردن إلى قبول هذا الوقف البسيط لإطلاق النار فى ٧ يونيو، وستتبعها مصر فى ٨ يونيو وفى النهاية سوريا فى ١٠ يونيو.

هكذا تمخضت حرب يونيو عن ضربات كبرى، وسوف تنتهى إلى احتلال إسرائيل لسيناء و قطاع غزة والضفة الغربية والجولان وهى أراضٍ تعادل ثلاثة أمثال مساحة إسرائيل ذاتها، والأسوأ من ذلك أن جيوش تلك الدول العربية الثلاث أصبحت فى حالة دمار شبه كامل.

ولأن الموقف العسكرى كان يبدو شبه محسوما منذ أصيب سلاح الطيران المصرى بالشلل فى اليوم الأول للقتال وصدرت القرارات المتخبطة والمتعجلة بسحب القوات المصرية من سيناء بعد ذلك، فقد تلقى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى صباح اليوم السابع من يونيو مذكرة سرية جديدة من والت روستو مستشاره للأمن القومى تتضمن «بعض الأفكار» ضمن أشياء عديدة من بينها «الموقف الإسرائيلى وعملية المساومة».

مذكرة سرية

وفى مذكرته السرية هذه قال والت روستو: إنه يبدو أن إسرائيل ستنهى بالسيطرة على الضفة الغربية للأردن، وكل القدس، وكل شبه جزيرة سيناء، بما فى ذلك الضفة الشرقية لقناة السويس، أكثر من ذلك. فإن الإسرائيليين أصبحوا فى الوقت الحاضر فى موقف (يمكنهم من) السيطرة العسكرية على المنطقة، يعتمد- ولكن ليس بدرجة كبيرة- على مدى السرعة التى سيعوض بها السوفييت الطائرات «المدمرة».

إن هذا- هكذا شعر روستو- هو الوقت المثالى لعمل مبادرة دبلوماسية تقوم بها الولايات المتحدة لتشجيع العرب والإسرائيليين على حل مشاكلهم على أساس إقليمى- إن دور الأمم المتحدة يجب أن يكون هو وضع إطار تصبح هذه الأشياء ممكنة من خلاله، ولكن بشرط ألا تنغمس الأمم المتحدة فى التفاصيل بدرجة كبيرة.

ووضع روستو بالتفصيل فى المذكرة الأهداف التى يأمل فى تحقيقها من خلال إعطاء العرب عرضا لا يستطيعون رفضه، وهذا العرض يتضمن تحول الراديكالية العربية إلى الاعتدال، وتنمية الشعور بالاعتزاز الإقليمى لكى يحل مكان الشعور العربى بالهزيمة والإذلال، والتعاون الاقليمى فى مجالات التنمية، بل وحتى التوصل إلى ترتيبات للحد إقليميا من سباق التسلح و«الأفضل التوصل إليها من داخل المنطقة ذاتها».

إن هذه الترتيبات الأخيرة سوف تؤدى بالطبع إلى أن يحتفظ الإسرائيليون بحالة السيطرة العسكرية الكاملة على منطقة الشرق الأوسط لسنوات عديدة تالية.

بكلمات أخرى: ترى تلك المذكرة السرية التى أعدها مستشار الرئيس جونسون للأمن القومى فى صباح السابع من يونيو ١٩٦٧ أن احتلال إسرائيل الجديد للأراضى العربية فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان يجب أن تتم المساومة به مع العرب فى مقابل عرض لا يستطيعون رفضه، فإذا كانوا يرون استرداد أرضهم المحتلة فإن عليهم مقابل ذلك أن يسقطوا نظام جمال عبد الناصر فى مصر (حيث هو نموذج الراديكالية العربية فى القاموس الامريكى وقتها) ويحل محله نظام آخر معتدل طبقا لنفس القاموس، كما أن على العالم العربى أن يدير ظهره لتيار القومية العربية، وتنغلق كل دولة عربية على ذاتها فى ظل مشاعر انعزالية إقليمية تملأ فراغ الشعور الجديد بالهزيمة والإذلال.

وكذلك على الدول العربية المعنية أن تدخل مع إسرائيل فى «تعاون اقليمى» فى مجالات التنمية، كما أن عليها أن تقبل الحد من تسليحها تحت سيف السيطرة العسكرية الإسرائيلية.

إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط

إن تلك الخطوة العريضة والمبكرة، سوف تظل هى أساس السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط بعد حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة، وطوال الفترة الباقية من رئاسة ليندون جونسون.

وحينما يناقش المؤلف الأمريكى ستيفين فرين تلك الأفكار المبكرة التى بلورها روستو للرئيس جونسون فى اليوم السابع من يونيو ١٩٦٧، فإنه يعلق متسائلا: «هل كان هذا مجرد تبسيط وسذاجة، أو أنه كان شيئا آخر، جزء من (سيناريو) تم فيه (إطلاق) الإسرائيليين، وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بشكل فعال، وإرغام العرب على التفاوض حول مستقبل المنطقة من مركز الضعف!».

ويرد ستيفن فرين بقوله: «إن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على ما إذا كان جونسون ورستو يتصرفان كردود أفعال للأحداث، أو أن لهما يدا فى تخطيطها، بل وحتى شاركا فى صنعها».

والواقع أنه منذ البداية كانت هناك لجنة سرية خاصة شكلها ليندون جونسون ومهمتها «تنسيق» ما يجرى ومتابعة تنفيذ هذه «العملية الجراحية الكبرى» التى تجرى للعالم العربى، وأداتها الإقليمية الظاهرة هى إسرائيل.

وكان الحرص على السرية الكاملة فى مهمات اللجنة هو أهم ما يريده ليندون جونسون، وفى بعض اللحظات أصبحت تلك السرية مطلوبة حتى فى مواجهة وزارة الخارجية

الأمريكية ذاتها، وعلى سبيل المثال، تضم ملفات مجلس الأمن القومى الأمريكى مذكرة بتاريخ ٦/٧/ ١٩٦٧ سجل فيها ماتنجورج برندى- المستشار السابق للأمن القومى- الذى أصبح عضوا فى «لجنة التنسيق السرية»، هذه ملاحظاته التى يريد أن ينبه إليها الرئيس جونسون قبل أحد اجتماعات اللجنة، ومن بينها أنه «مع حضور عدد من مساعدى دين راسك (وزير الخارجية) فإنك قد لا ترغب فى مناقشة المهمات التنظيمية لعمل (هذه) اللجنة الخاصة».

وبالفعل أمر جونسون باستبعاد وزارة الخارجية الأميركية من اللجنة فيما عدا دين راسك نفسه، وكانت اجتماعات «لجنة التنسيق» السرية هذه تتم بطبيعة الحال برئاسة ليندون جونسون نفسه، أما متابعة تنفيذ المهمات المختلفة التى تقررها اللجنة فكان يتولاه بالطبع والت روستو مستشاره للأمن القومى.

□□□